# شوف تشوف

رشيد نيني
r_niny@yahoo.fr

# قادو معانا الميال عافاكم...

المتتبع لوتيرة الحركات الاحتجاجية التي تطفو كل يوم على السطح في المغرب يخرج بانطباع واحد مفاده أن المغرب أصبح بحالو بحال القرع، فين ماضربتيه يسيل دمو. وهذه الأيام تشن سلسلة إضرابات في وزارات أساسية كالعدل والتعليم والداخلية والصحة. وحتى موظفو محطة الأرصاد الجوية يستعدون للتوقف عن العمل بسبب مطالب عالقة. وربما خلال الأيام القادمة سنشاهد نشرة جوية يخبرنا فيها أن رياح الإضرابات ضربت مديريته وتهاطلت على مكتبه شكايات كثيرة حالت بينه وبين رؤية التوقعات المرتقبة ليوم الغد بحول الله.

التوقعات المرتقبة ليوم غد هو ما يشغل بال المغاربة اليوم. فيبدو أن رياحا تلوح في الأفق قد تمزق أشرعة المركب الذي نسافر فيه جميعا إذا لم يحسن الربابنة الإبحار به وسطها بما يجب من ذكاء وكياسة. فقد وصلنا إلى ما قاله سيدي عبد الرحمن المجذوب ذات وحلة مماثلة عاشها المغرب:

هاجت وماجت ولعب خزها فوق ماها
رياس بلا قراية هما سباب خلاها...

هؤلاء الرياس الذين يدعون المعرفة بالملاحة، فيما هم في الواقع ما رياس ما حتى لعبة، هم السبب المباشر لهذه الأزمة التي بدأ خناقها يشتد يوما بعد يوم. وطبعا فهؤلاء الرياس ماهوماش هنايا، لأن الذي يدفع ثمن لعبهم المتهور بالنار هم نحن. وأخيرا شاع خبر بين الأساتذة المغاربة الملحقين بالبعثات الأجنبية بالمغرب يقول إن وزارة المالية ستقتطع من رواتبهم حوالي ستين في المائة. وبما أن كل أستاذ من هؤلاء يربح حوالي خمس مائة درهم في اليوم مقابل ثماني ساعات من التدريس (خمسة وخميس)، فإن وزير المالية حمر في رواتبهم السمينة مقارنة مع باقي زملائهم، وقرر ربما أن يطبق عليهم قاعدة خدم يا التاعس على سعد الناعس. وبما أن رواتب هؤلاء الأساتذة تأتيهم من ميزانيات الدول التي يدرسون في بعثاتها، فإن وزارة المالية تشهت أن تشارك الملح والطعام مع هؤلاء الأستاذة، وكأنها تقول لهم:

– كيفاش زعما نتوما ماندوقوش فلوسكم...

هادو هوما دياولنا، مايربحو مايقيلو اللي يربح. والفرنك اللي دخليته لجيبك خصك تفرقو مع... وكأن وزارة المالية عندنا لم يعد لها من شغل آخر سوى التبقشيش في رواتب الموظفين للبحث عن مكان تستطيع أن تقتطع منه ضريبة ما. ويمكن أن نفهم اقتطاع وزارة المالية لضرائب من رواتب تمنحها من خزينتها، أما أن تلجأ إلى اقتطاع ضرائب من رواتب تمنحها دول أجنبية، فهذا ما يمكن أن سمته الشيخة ذات أغنية:

– الحبة والبارود من دار القايد...

إنه تفكير اقتصادي متخلف يقوم على اعتبار جيوب المواطنين امتدادا طبيعيا لخزينة الدولة، كلما ضعف الاقتصاد وانهارت قدراتنا التنافسية في الأسواق العالمية وبدأنا نعيش على الاستيراد، حتى فيما يتعلق بالمنتجات الاستهلاكية التافهة مثل القفال الذي تفور به أمهاتنا يوم الجمعة، يلتفت وزير الاقتصاد إلى رواتب المواطنين ليقتطع منها ما يرقع به ثقوب ميزانيته المهلهلة.

حتى منح الطلبة الجامعيين طمعوا فيها ومازال التكاسل في إرسالها إلى قباضات فاس. مما دفع الطلبة إلى الخروج في مسيرة احتجاجية مهددين باتخاذ مدرجات الجامعة أماكن للمبيت بسبب تهديد أكثرهم بإفراغ مساكنهم التي لم يدفعوا إيجارها بعد.

هذه مؤشرات خطيرة تدل على أن هناك إفلاسا غير مصرح به تعيشه الدولة. رواتب تتأخر عن موعدها، ضرائب تنهال على الرواتب من كل جهة، منح جامعية تتعثر في الطريق، زيادة مرتقبة بنسبة أربعة عشر في المائة في فواتير الماء والكهرباء ابتداء من الشهر المقبل بحجة أن تكلفة الإنتاج مرتفعة، زيادات صاروخية في المحروقات بحجة الظرفية الاقتصادية العالمية، إضرابات متكررة في جل القطاعات الحكومية، طيور ودواجن تموت يوميا في مختلف مدن المغرب، الوزير الأول يأكل الدجاج في التلفزيون، ووالي الدار البيضاء يأمر بإغلاق بسوق الجملة بالدار البيضاء مصدر رزق المئات من بائعي الدجاج ويرش الجير والصباغة أسفل حيطان السوق، أطباء يلقحون البط، آخرون يعزلون البيبي والمواطنون أصبحوا يخشون حتى الاقتراب من حمام ساحة محمد الخامس...

وأمام كل هذه الرياح الهوجاء ماذا تصنع الحكومة، تدس رأسها في الرمال مثل نعامة وتنتظر 2007 لكي تمر العاصفة. وماذا يصنع الإعلام العمومي، ينشغل بمناقشة التفاهات ويترك مشاكلنا الحقيقية لتناقشها تلفزيونات فرنسا وإسبانيا بالطريقة والضيوف الذين يناسبونهم.

بالأمس تابعت برنامجا خاصا عن المغرب أعده مراسل القناة الثانية الإسبانية بالمغرب ميغيل ديبوراس، عنوانه "الانتقال المزمن"، استطاع أن يقف عند نقطة مهمة تلخص حالة الإفلاس التي وصلنا إليها. إنها الفوارق الساحقة التي توجد بين طبقة مرفهة تعيش بمستوى أوربي، وطبقة مسحوقة تعيش في عصور الانحطاط. يعني تسعين في المائة تشقى يوميا من أجل راحة عشرة في المائة. هذا ما يسمى عند الرياس بالميال، وغالبا عندما يلاحظ الرايس المتيقظ الميال عندو فالفلوكة يلتفت إلى الراكبين وينبههم قائلا:

– قادو معانا الميال عافاكم...

وقادو الميال عافاكم قبل ما نميلو كاملين لجهة وحدة ونبقبقوها كاملين. تحلوا بقليل من الجرأة والشجاعة وتذكروا ما قاله جمال عبد الناصر يوما :

الخائفون لا يصنعون الحرية والمترددون لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء.